الفصل الثاني
الفصاحة والبلاغة
المبحث الاول
الفصاحة

لفظة والفصاحة ، مما شاع وعرفه العرب بمفهومه اللغوي قبل أن تأخذ الالفاظ دلالتها الفنية : ونجد لها في المعاجم دلالتين :

الاولى : لغوية تقوم على المعنى الاول الذي وضعه العرب واستعملوه قبل أن تظهر علوم البلاغة والنقد . ففي لسان العرب : ايوم مفصح : لا غيم فيه ولا قر .

أفصح اللبن : ذهب اللبأ عنه . فصح اللبن : أذا انحلت عنه الرغوة : قال نضلة السلمي :

رأوه فازدروه وهو محرق ويفضح أهله الرجل القبيح
فلم يخشوا مصالتـــه عليهم وتحت الرغوة اللبن الفصيح

أفصحت الشاة والناقة : خلص لبنها . أفصح الصبح : بدا ضوؤه واستبان ، وكل ما وضح فقد أفصح ، وكل واضح مفصح . ويقال : قد فصحك الصبح ، أي بان لك وغلبك ضوؤه . فصحه الصبح : هجم عليه.

الثانية : دلالة تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه البلاغيون ، ففي اللسان : والفصاحة : البيان، فَصُحَ الرجل فصاحةً فهو فصيح من قوم فصحاء وفصاح وفُصح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح : رجل فصيح وكلام فصيح ، أي : بليغ .

لسان فصيح ، أي : طلق . وقد جاء في الشعر في وصف العجم : أفصح ، يريد به بيان القول وان كان بغير العربية ، كقول أبي النجم :

أعجم في آذانها فصيحا

يعني : صوت الحمار انه اعجم ، وهو في آذان الأعجم فصيح بيّن ؛

وتصمّتَ الاعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه . وقيل : جادت لغة حتى لايلحن . أفصح كلامه افصاحا وأفصح تكلم بالفصاحة وكذلك الصبيّ . يقال : أفصح الصبي في منطقه افصاحا اذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم . أفصح الاعجم : اذا فهمت كلامه بعد غمته . أفصح عن الشيء افصاحا اذا بينه وكشفه : تصمّتَ الرجل وتفصّح اذا كان عربيّ اللسان فازداد فصاحة . وقيل تفصّح في كلامه وتفاصح : تكلف الفصاحة . يقال :

ما كان فصيحا ولقد فصح وهو البين في اللسان والبلاغة : والتفصح استعمال الفصاحة وقيل : التشبه بالفصحاء .

وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالفصيح كل ناطق ، والاعجم كل مالا ينطق .

الفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديه ؛ أفصح الكلام وأفصح به وأفصح عن الامر : الفصيح في كلام العامة : المعرب ؛:

وفي هذا يتضح معنى البيان والظهور في كلمة «الفصاحة» ، ليس هذا المعنى بعيداً عن الدلالة الاولى ولا عن المعنى الذي اصطلح عليه علماء البلاغة ، وهو رقة الالفاظ وجمالها ، وبيان التعبير ووضوحه .

في القرآن والحديث :

لو نظرنا نبحث عن لفظة « الفصاحة » في تراثنا لرأيناها في قوله تعالى حكاية عن نبيه موسى – عليه السلام – :«وأخي هرونُ هو أفصحُ مني لسانا » (١) وفي الحديث النبوي الشريف:«أنا افصح العرب بيد أني من قريش»(٢) وانظر

(١) القصص ٣٤.

(٢) قال عبد الله بن رواحة في مدح الرسول – صلى الله عليه وسلم – :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت فصاحته تنبيك بالخبر